# تقرير السكرتير العام للمكتب الدائم لكتاب آسيا وافريقيا

**قدم الاستاذ يوسف السباعي السكرتير العام للمكتب الدائم لادباء اسيا وافريقيا التقرير التالي الى أعضاء المؤتمر :**

أيها الاخوة والزملاء .

اسمحوا لي ، في مستهل هذا التقرير الموجز ، أن أوجه باسمكم وبالنيابة عنكم ، أصدق آيات التحية والشكر الى الشعب اللبناني الشقيق والى فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ودولة رئيس الحكومة والى طلائع الكتاب والمثقفين اللبنانيين والى لجنة الكتاب اللبنانية للاتصال بالكتاب الافريقيين الاسيويين ، اللجنة التي يرأسها المناضل الاخ كمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ، الى كل هؤلاء جميعا تحيتنا وشكرنا على ما بذلوا من كرم الضيافة وحسن الوفادة في هذا البلد العربي العريق المضياف ، في لبنان الذي يعد بموقعه الفريد وتراثه الحضاري وتقاليده الثقافية ، همزة الوصل حقا بين التيارات الانسانية ونافذة مفتوحة لكل أوجه النشاط الخلاق ، مع استناده الى ركائز وطيدة من ثقافته القومية وحضارته العربية .

أيها الاخوة ،

نجتمع اليوم في مؤتمرنا الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين ، في بيروت ، وافدين من أرجاء عالمنا الافريقي الاسيوي المترامي الاطراف ، من شمال اسيا وشرقها الى جنوب افريقيا وغربها ، نمثل شعوبنا على عرض هذه الرقعة الشاسعة وطولها ، منتمين الى تقاليد وظروف وأجواء متعددة ، ولكن تجمعنا وحدة عميقة راسخة تقع موقع الاساس والقاعدة المتينة وراء كل صور التغاير والتنوع ، ذلك اننا أيها الاخوة نملك جميعا ـ الى جانب التضامن الوثيق الذي ترتبط به شعوبنا الافريقية الاسيوية ـ شيئا مشتركا موحدا بيننا هو هبة منحناها ولكنه مسؤولية مفروضة أيضا . انه حق ، وقد يكون امتيازا ، ولكنه ايضا تبعة ثقيلة وواجب علينا أن نؤدي عنه الحساب ، ذلك هو المقدرة على التعبير ، وصناعة الكلمة ، الكلمة التي من شأنها أن تحيل الصمت ، بما يحمل من معاني الموت والتركود ، الى قوة دافعة محركة تجلو الواقع وتخط الطريق وتضيئه ، وتسهم في بناء الانسان ، وتغيير العالم ، وارساء القيم التي تجعل الحياة اكثر عدالة وبالتالي أبهى جمالا .

هذه الهبة وأؤكد انها تبعة أيضا هي اذ توحد بيننا نحن الكتاب تؤلف في الوقت نفسه عاملا من العوامل الاساسية التي توحد بين شعوبنا . ونحن اذ نجد انفسنا ، بحكم الضرورة والواقع ، في طليعة صفوف شعوبنا ، مطالبون بأن نكون أرهف الناس حسا وأحدهم وعيا بما يوثق عرى التضامن بين هذه الشعوب ، فنحن في افريقيا واسيا نرتبط بحكم التراث الحضاري المشترك في الماضي القريب ، وبحكم الالتقاء على طريق مشترك في كفاحنا نحو استعادة شخصيتنا القومية وتحقيق حريتنا الكاملة ، والعمل الجاد الشاق ، نحو تنمية مجتمعاتنا ، كما نرتبط بحكم الامال والاهداف المشتركة ، وبحكم ايماننا العميق بالقيم الانسانية الشاملة : قيم الحرية ، والعدالة ، والسلام ، تلك القيم والاهداف التي نحن أشد الشعوب احساسا بها واكثرهم دفاعا وتمسكا بها ، لاننا طالما حرمناها وعانينا التجارب المريرة القاسية من جراء فقدنا اياها .

اننا اذ نستعيد الماضي الحضاري العريق الذي يربط بين قارتي افريقيا واسيا واذ نؤكد مرة بعد اخرى أن هاتين القارتين هما منبع الاصول التي اشتقت منها حضارة الانسان كله في الفن والدين من الناحية الثقافية ، وفي تطويع البيئة الاولية لارادة الانسان من الناحية الحضارية ، ، لا نصدر في ذلك عن انعزالية ما ، ولا نفاق على انفسنا بنظرة قومية ضيقة ، وانما نؤكد دورنا في ابداع أسمى أسس هذه الحضارة الانسانية التي هي تراث البشر جميعا كما نؤكد رابطة من روابط الوحدة التي لا تنفصم بين شعوبنا .

ان التاريخ الحضاري الانساني كله في خلال القرون السبعين التي استغرقتها الانسانية في اجتياز مرحلتنا الطويلة ، هو في الوقت نفسه تاريخ حضارة اسيا وافريقيا ، ولم يخرج مركز الثقل الحضاري عن قارتينا الا خلال الخمسة القرون الاخيرة ، وما من شك اننا في هذه المرحلة الراهنة ، نتخذ المبادرة من جديد حتى نعود فنزيد من ثراء التيار الثقافي والحضاري للانسان .

في خلال القرون الاربعة الاخيرة كانت شعوب افريقيا واسيا تعاني التجربة المريرة التي فرضتها عليها وحشية الاستعمار والامبريالية، وهي تجربة متشابهة في مقوماتها وقسماتها تشابها كان من العوامل التي أدت الى ظهور التضامن والوحدة بين شعوبنا ، وكلنا نعرف كيف نهبت ثرواتنا ، وكيف انتهكت حرياتنا ، وكيف فرض الاستعمار علينا نظامه اللاانساني ، وكيف حاول تهديم أسس حضارتنا العريقة ، وتقويض ثقافتنا ، والقضاء على شخصيتنا ، وكيف بلغ في ذلك كله ، من الهمجية السافرة والظلم الصارخ ، والاستهتار الكامل بكل قيمة انسانية ، حدودا لا يمكن فعلا تصوير مدى بشاعتها ، ولكننا جميعا نعرفها بخبرتنا المباشرة ، في بلادنا التي كانت حتى أمد قريب ، ترزح تحت وطأة النظام الاستعماري ، ونعرفها لاننا رأيناها بأعيننا وأحسسنا مدى مرارتها في مدننا المزدحمة وقرانا المخربة الفقيرة ، في أراضي بلادنا المنهوبة ، وفي أرواح أبنائنا المفقودة على السواء ، في أعين الاطفال الجائعة ، وفي شباب شعوبنا الذي بات وقودا للحروب الاستعمارية ، وفي الاجسام الفتية يفتك بها المرض ، وفي العقول والقلوب المتفتحة التي من حقها الحرية والسعادة والمعرفة تذبل وتجف في ظلام الامية وضيق الجهل ، ذلك ما خلفه لنا النظام الاستعماري ، حتى عهد قريب جدا ، ما زلنا نحس اثاره عبر عالمنا الافريقي الاسيوي كله ، على نحو يكاد يكون متطابقا ، ابتداء من شرق اسيا البعيدة حتى غرب افريقيا ، وفي الشمال والجنوب على السواء .

واذا كانت هذه الصورة القاتمة هي التي كان اطارها يجمع بيننا ، على اختلاف في الظلال، حتى عهد قريب ، فان صورة جديدة تجمع بيننا الان ، صورة الكفاح البطولي واليقظة المجيدة التي اكتسحت موجتها العارمة بلاد قارتينا العظيمتين عبر شواطئها وصحاريها وجبالها وغاباتها وأوديتها الخصيبة ، فلم يشهد التاريخ قط مدا تحرريا واسع المدى عارما جارفا ، كذلك المد الذي شهده نصف القرن العشرين اذ تحطمت أغلال النظام الاستعماري المنافي بطبيعته لكل القيم الحضارية والانسانية ، وسقطت صروحه على التعاقب ، وهبت شعوبنا ، بنضالها العنيد وتضحياتها التي لم تتقاعس عنها مهما كانت فادحة ، تسترجع حرية ارادتها وتقرر مصيرها ، ولتبني ما دمره الاستعمار في المجالات المادية المحسوسة او الروحية والثقافية على السواء .

ولقد شهدت السنوات الاخيرة تقدما كبيرا على طول جبهات حركة التحرير الوطني في افريقيا واسيا ، فاستمرت شعوبنا تحرز انتصارات مرموقة زلزلت أسس النظام الاستعماري والامبريالي وقوضت صروحه في كثير من المواقع وامتدت موجة التحرر العارمة فشملت الاغلبية الساحقة من بلادنا ، في سلسلة متعاقبة سريعة من الثورات الوطنية ، في كل أرجاء افريقيا واسيا .

ايها الاخوة والزملاء ،

ولكن للصورة جانبا لا ينبغي ان يفوتنا بحال ، فها نحن نشهد اليوم مظاهرة واضحة لاستماتة النظام الاستعماري وحلفائه وعملائه في الابقاء على وجودهم . نشهد المحاولات اليائسة التي يقوم بها هؤلاء لاستعادة ما فقدوه تارة عن طريق التسلل الاستعماري الجديد بكل وسائله المعروفة كمحاولة بث التفرقة والانفصال على نحو ما يقع في جنوب السودان وارتريا ، وطورا عن طريق التشبث بمواقع اقدامهم في المناطق القليلة الباقية التي لا تزال ترزح تحت النير الاستعماري المباشر ، وعلى الاخص المستعمرات البرتغالية ، وتارة عن طريق استمرار نظام التفرقة العنصرية الشائن ، وطورا عن طريق الهجوم المضاد كما رأينا في سلسلة الانقلابات الاستعمارية والرجعية التي شهدها العام الماضي في افريقيا او عن طريق العدوان العسكري السافر كما يحدث الان في فيتنام .

ان الاستعمار الاميركي يشن حربا غاشمة لاعادة غزو فيتنام ، ومع ذلك فانه يقف عاجزا مدحورا امام ارادة شعب فيتنام البطل ، وامام التضامن الفعال الوثيق الذي تمده به كل الشعوب الافريقية الاسيوية والشعوب المحبة للحرية والسلام في العالم كله ، في اوروبا وفي اميركا اللاتينية وفي الولايات المتحدة نفسها . واذا كان الاستعمار الاميركي قد حشد نحو مليون جندي من قواته وقوات عملائه وحلفائه في فيتنام ، واذا كانت جحافله الجوية تغير على جمهورية فيتنام الديمقراطية وتقصف بالقنابل المدمرة قراها ومدنها الاهلة ومدارسها ومكتباتها ومعابدها ومستشفياتها ومزارعها ، وتلقي في المناطق الاهلة بالسكان قنابل لا تلحق اضرارا بأهداف عسكرية او غير عسكرية ، وانما تنفجر شظايا ، فوق الارض لكي تقتل ، او تغوص الى تحت الارض لتصيب المدنيين المقيمين في المخابىء ، فهي اذن لا تستهدف الا جرائم الابادة الجماعية المقصودة ، للارهاب والاذلال ، واذا كان هذا الاستعمار الاميركي الذي بلغ حدودا لم يكن يعرف لها مثيل في الوحشية السافرة ، يستخدم الغازات القاتلة والاسلحة الكيماوية المحرقة ، في عملية تخريب متعمدة واسعة المدى ، فان شعب فيتنام يقف صلبا باسلا في الدفاع عن حرياته وحقوقه يقاوم في الشمال مقاومة بطولية ، لا تهمه الا ارادته في النصر ، وفي الحفاظ على حريته واستقلاله وسيادته الوطنية ، وفي الجنوب ، يحرز انتصارات كبيرة في حربه التحررية العادلة المشروعة ، ويمضي في المناطق المحررة في جنوب فيتنام ، نحو بناء نظام اجتماعي متقدم ، بقيادة جبهة التحرير الوطني لجنوب فيتنام وهي الممثل الشرعي الوحيد لشعب فيتنام .

والنضال الباسل الذي يخوضه الشعب الفيتنامي قد احرز تأييدا واسعا بين اوسع فئات الرأي العام العالمي ، ولا سيما المفكرون والادباء ، فرفع كبار ادباء العالم امثال جان بول سارتر وبابلو نيرودا وهينريخ بيل وارنور ميلير وميخائيل شولوخوف ، وغيرهم ، اصواتهم محتجين على الحرب العدوانية البربرية التي يشنها الاستعمار الاميركي وعملاؤه في الفيتنام . وفي كثير من بلدان العالم ، حتى الولايات المتحدة نفسها ، يقوم رجال الفكر والادب بمهرجانات جماهيرية وينظمون حملات لتوقيع بيانات عامة تنادي بنصرة الشعب الفيتنامي ووقف العدوان عليه ، ومن بين الحملات العالمية التي انطلقت تأييدا لشعب فيتنام نذكر الجلسة الموسعة التي دعت اليها اللجنة السوفياتية للاتصال بحركة ادباء اسيا وافريقيا ، فعقدت في اب ( اغسطس ) الماضي في باكو وساهم في اعمالها مع الادباء السوفيات ادباء ومفكرون من ثلاثين بلدا تمثل اربع قارات . واعلن المشتركون فيها ان الحرب التي اندلعت في فيتنام تهدد سلامة العالم وتعرض للخطر حياة كل انسان مهما كان بعيدا عن ارض فيتنام .

مع ما في ذلك المبادرة التي اتخذها المؤتمر في هافانا لخلق قسم ثقافي وادبي غايته اظهار تماثل القضايا المطروحة امام الكتاب الافريقيين الاسيويين وادباء اميركا اللاتينية التقدميين .

والمعركة القائمة في فيتنام بين العدوان الاستعماري الغاشم والحرية والحق لا تنسينا المعركة التي ما لبثت منذ تسعة عشر عاما مستمرة بين التحالف الاستعماري الصهيوني وارادة الشعب العربي الفلسطيني والعرب جميعا مصممون على ان يستعيدوا حق عرب فلسطين في وطنهم الذي شردوا عنه غصبا وعدوانا .

لقد أقام التحالف الاستعماري الصهيوني في نقطة التقاء القارتين الاسيوية والافريقية جيشا استعماريا عنصريا عدوانيا يحاول التآمر والتصدي لكل حرية وتقدم في المنطقة بل في قارتي اسيا وافريقيا ، واطلق القلم الصهيوني والقلم الاستعماري حملات عالية ، رواية وشعرا ومقالات صحفية ، غايتها طمر الحقائق او تزويرها فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية .

واذا كان ادباء الشعب العربي الفلسطيني خاصة وادباء العرب عامة يواصلون الجهد لفضح اكاذيب التحالف الاستعماري الصهيوني ويكشفون بشاعة الجريمة التي اقترفت ضد عرب فلسطين ويؤكدون اصرارهم على حقهم في وطنهم وعزمهم على النضال حتما للظفر بهذا الحق ، فانهم يناشدون اخوانهم الكتاب الاسيويين الافريقيين ان يرفعوا الصوت معهم في كل مناسبة لاظهار الحق في قضية تمس القيم الادبية في الصميم لانها تمس العدالة والحرية والضمير الانساني .

ان قضية فلسطين التي يريد التحالف الاستعماري الصهيوني ان تعتبر قضية منتهية ، هي في الحقيقة قضية ملحة سيطرحها الشعب العربي الفلسطيني والعرب جميعا على وجه اقوى الحاحا واشد فعالية . ولن يكون كتاب اسيا وافريقيا الا في جانب الحق .

وفي الجنوب العربي ما زال الاستعمار البريطاني يتشبث بمواقعه المنهارة ممارسا اقبح ضروب العنف والتعذيب ضد المناضلين العرب الابطال الذين يطالبون بحق طبيعي في الحرية والكرامة والسيادة ويتطلعون الى كتاب افريقيا واسيا وجميع الشرفاء في العالم لمساندة قضيتهم العادلة .

ويصدق هذا على الخليج العربي حيث يواصل الاستعمار البريطاني استغلاله ومؤامراته .

ايها الاخوة الزملاء ،

وهل لنا ان ننسى الكفاح البطولي المسلح الذي تخوضه شعوب انجولا وموزامبيق وغينيا المسماة بالبرتغالية وجزر الرأس الاخضر ضد الاستعمار البرتغالي الوحشي الذي ينتهك اوليات حقوق الانسان الافريقي في هذه الجيوب الاستعمارية الباقية على ارض افريقيا . اننا نحيي الانتصارات التي تحرزها قوات التحرير في هذه البلاد المناضلة ، ونشيد بالانجازات الديمقراطية البناءة التي تحققت فيها .

ان جرائم الاستعمار البرتغالي لجرائم تتحمل حقا عبء عارها فعلينا ان نقاومها بكل ما في المقاومة من معاني ، وان نمحو هذه الوصمة الشائنة التي تلوث حياتنا جميعا ، وان نزيل هذا الخطر الذي يهدد حرياتنا ووجودنا جميعا .

ان في انجولا ، وموزامبيق ، وغينيا البرتغالية وجزر الرأس الاخضر وسان تومي حركة ادبية مليئة بالحيوية والقوة والنشاط ، عميقة الدلالة بالنسبة للادب العالمي كله ، جياشة بالوان مختلفة من التعبير الفني المكتمل الذي بلغ حدا مرموقا من النضج بل من السمو والامتياز . ومصداقا لذلك يكفي ان نذكر بضعة اسماء لامعة مثل اوجستينو نيتو ، وماريو دي اندرادي ، ومارسيلينو دوس سانتوس ، وكوستا اندرادي ، وانطونيو جاسينتو ، وكاوبير دياس دامبارا ، وجوزيه كرافيبرنها ، وكالونجانو ، ونيويميادي سوسا .

وفي زيمبابوي نشهد امتدادا لموجة التفرقة العنصرية ودعاوى التفوق العنصري ونجد مثالا صارخا لانتهاك حقوق الانسان الافريقي واغتصاب وطنه ، وفرض نظام عسفي عليه تحت شعار من ادعاء استقلال مزيف غير شرعي يعلنه المستوطنون والمستغلون حتى يضمنوا لانفسهم كل امكانية النهب الاستعماري والقهر العنصري ، على حساب حرمان

الاغلبية العظمى من الشعب الافريقي حقوقها الاولية في الحرية والكرامة والسيادة .

ان التفرقة العنصرية والاضطهاد العنصري يتخذان في زيمبابوي شكلا ضاريا عنيفا من القمع المنظم الواسع النطاق المتحالف مع سائر القوى التفرقة العنصرية في البلاد المجاورة نعني جنوب افريقيا الفاشستية والحكم الاستعمار البرتغالي في موزامبيق . تحالف يشكل شبكة من المصالح الاستعمارية والعنصرية والاستغلالية في منطقة جنوب افريقيا وجنوب شرقيها بين حكومات روديسيا والبرتغال وجنوب غرب افريقيا ، حيث يمتهن الانسان نفسه امتهانا يكفر بكل قيمة لحياة الانسان نفسها . ويجعل ضمير كل اديب بل كل بشر في هذا العالم مثقلا بعبء لا راحة منه الا بالتخلص من اسس هذا النظام العنصري الفاشيستي الهمجي .

ان موضوع التحرر الوطني والكفاح من اجل الحرية والاستقلال والكرامة الانسانية سواء اكان ذلك بصورة مباشرة ، ام تجلى في هموم ومشاغل الحياة اليومية العادية لصغار الناس ، ام تمثل في صراع القوى الاجتماعية المختلفة وعمليات تبادل الفعل ورد الفعل بينها ، وامتداد التناقضات بينها او تجمع هذه التناقضات في نقط للالتقاء تنبثق منها عمليات اجتماعية جديدة ، ذلك كله في صوره المجسمة التي نعرفها في الواقع الاجتماعي او في الواقع النفسي للناس قد كان دائما وبالضرورة احد الموضوعات الرئيسية في الاداب الافريقية الاسيوية .

وقد انطلقت في الاداب الافريقية الاسيوية صرخات الادب النضالي المضطرم بحدة التمرد ونبل الشوق الى الحرية صرخات مؤثرة تجلت بوجه خاص في ميدان الشعر الغنائي والدرامي وفي غمار اليقظة الادبية المدهشة التي اسفرت عنها السنوات الاخيرة هي انها اعمال فنية على درجة عالية من التكامل الفني ليست مما يمكن أن نسميه أدبا دعائيا صريحا مباشرا ، وان كانت بقصد بصيرتها ودقة تصويرها للواقع الاجتماعي والنفسي للناس أبلغ أثرا في خدمة قيم الحرية والكرامة الوطنية وافعل في ادانة الجرائم الاستعمارية وادانة انتهاك القيم الانسانية الذي تمارسه القوى الرجعية والاقطاعية والاستغلالية من أية دعوة صريحة مباشرة .

واذا كانت الاسبقية في كفاح شعوبنا الافريقية الاسيوية ضد الاستعمار ومن أجل الحرية الحقة والتنمية الاقتصادية هي للعمل السياسي والاجتماعي واذا كان هذا الكفاح السياسي والاجتماعي هو الاساس الذي لا يمكن أن ينفصل عن عمل الكاتب الافريقي الاسيوي ، بحكم وضعه التاريخي في المرحلة الراهنة وبحكم كل الظروف التي تعيشها المجتمعات الافريقية الاسيوية ، بخصائصها المميزة ، فان العمل السياسي والاجتماعي بدوره ، يحتاج أعظم الاحتياج للروافد المخصبة التي يمده بها الادب والفن والثقافة . فهذه الروافد هي التي توقظ وعي الفرد والجماهير ، وهي التي تلقي الضوء على العلاقات الانسانية ـ في مختلف الميادين ـ في العالم المعقد المتشابك الذي نعيش فيه ، وهي التي تصدر عن العمل السياسي والاجتماعي في المجال الوحيد الذي يكتسب فيه هذا العمل مشروعيته التي لا تنكر ، مجال ارساء القيم الانسانية والدفاع عن المثل الاخلاقية العليا .

والكاتب الافريقي الاسيوي ، بحكم هذه الاوضاع يختلف بالضرورة عن غيره من الكتاب في المجتمعات الصناعية المتقدمة التي قطعت شوطا كبيرا في توفير اسس الرفاهية المادية والتي لها تقاليد طويلة نسبيا في كفالة الحقوق والحريات الديمقراطية لشعوبها وربما كان هذا اختلاف ملحوظ على أي حال ، فان المهمات التي تنتظر شعوبنا مهمات عاجلة وملحة وهي مهمات تتفق من حيث أساسها في أنها متعلقة بالحصول على الحرية في البلاد التي ما زالت ترزح تحت وطأة الاستعمار أو التفرقة العنصرية ، أو متعلقة بالدفاع عن الحرية في البلاد الحديثة العهد بالاستقلال ، وما من شك في أن سلامة جوهر الادب الافريقي الاسيوي انما تنحصر في التمسك بقيمة الحرية ، وما من شك ان الحرية الاقتصادية ، في سياق المجتمعات الافريقية الاسيوية ، لا يمكن أن تنفصل عن الحرية السياسية وعن تأمين الحقوق الاولية للتنمية والازدهار . وهذا يجعل العلاقة بين الثقافة والسياسة علاقة لا انفصام فيها .

من الواضح ان السياسة التي نتبعها تتسم بالضرورة بالصيغة الثقافية اكثر مما تتسم بها السياسة التي يتبعها الغرب ، لان مطالبنا السياسية يجب أن تعبىء كل الابعاد وكل الطاقات في كياننا . لقد كنا ضحية الاستغلال في كل مستويات وجودنا الاجتماعي والفردي .

ومع ذلك فان تحررنا لا يفترض كراهية الثقافة الغربية ، ولا ازدراءها ، بل على العكس ، ولكن حب هذه الثقافة الغربية لا يكون خصيبا ولا جديرا بالثناء الا بالقدر الذي تستطيع فيه نظمنا الثقافية والحضارية أن تضفي على مجد شخصيتنا الحافل باسباب القوة والحيوية . ان التوازن المتناسق الذي يجب أن نصل اليه ، في سياق مقتضيات الحياة العالمية ، يتطلب منا ، في الوقت نفسه ، تفتحا كريم الصدر أمام ما يحمله الينا الغرب والعالم كله من اسهام ثقافي .

واذا كانت بعض شعوبنا ما زالت تناضل ضد الامبريالية والاستعمار وحلفائهما من الاقطاعيين والرجعيين ، واذا كانت بعض شعوبنا قد حصلت على الاستقلال حديثا وانتزعت حريتها السياسية ، واذا كانت بقية شعوبنا قد قطعت شوطا بعيدا في طريق الاستقلال والبناء فان هذه الخبرات كلها ، على تنوعها واختلافها بتنوع واختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية والتقاليد والمعتقدات السياسية والاجتماعية والمذهبية ، مما يؤدي بالتالي الى اختلاف الحلول التي تختارها شعوبنا في سلوك طرق التحرر والتنمية ، هذه الخبرات كلها انما تشترك جميعا في ارض عريقة واسعة نلتقي فيها جميعا ، هي ارض النضال ضد الاستعمار ـ ايا كان شكله ومظهره ـ ومن اجل الحرية والعدالة والسلام والتقدم والرفاهية ، وهي خبرات ثمينة علينا ان نتبادلها ونعمق معرفتنا بها ، حتى نختار منها ما نراه اوفق الحلول ، بل نمارس اختيارنا على نحو اعمق واوسع بان نجدد ونبتكر الحلول الخلاقة المؤاتية لطبيعة ظروفنا القومية ومدى تطورنا وخصائصنا الحضارية ، وعقائدنا الروحية. فهذه الخبرات كلها مقومات العملية التاريخية الكبرى التي يمر بها هذا العصر الذي نعيش فيه .

ان هذه العملية التاريخية الكبرى بمقوماتها المعقدة المتشابكة هي التي تملي على الكاتب الافريقي الاسيوي ان يكون بالضرورة كاتبا ملتزما، فلم يعد له في الواقع خيار ، اذا كان حقا كاتبا وفنانا . انه بطبيعة تكوينه ـ وباعتباره انسانا وفردا في خضم الانسانية المضطرب العريض باعتباره فردا من أفراد شعبه وأكثر حساسية ووعيا وأقدر على التعبير والمشاركة ـ ملتزم بكل قضايا شعبه وسواء كان شعبه يمر بمرحلة أم يمر باخرى من مراحل هذه العملية التاريخية الكبرى التي تدور اليوم في عالمنا الافريقي الاسيوي ، سواء أيضا أكان شعبه يتيقظ لحقوقه ومطالبه أم يسعى الى تحقيقها باسلوب النضال السياسي او باسلوب الحركة التحريرية وسواء كذلك أكان شعبه قد حصل على هذه الحرية حديثا وهو يسعى الى تدعيمها والحفاظ عليها أم كان قد قطع شقة من الطريق نحو التنمية الاقتصادية فهو يواجه الضغوط الاستعمارية والاحتكارية . ويصدق هذا أيضا اذا كان شعبه في الطرف الاخر من هذا الكفاح كله ، يواجه مشاكل النمو الكبير . والحضارة المتقدمة .

ليس الكاتب الافريقي الاسيوي اذن ملتزما فقط بكل هذه القضايا يعكسها ضرورة في وعيه وبالتالي في انتاجه ـ بل هو فوق ذلك مدعو بطبيعة هذا الوعي الذي يتمتع به ، وبضرورة هذا الوضع الذي يوجد فيه ، الى ان يتقدم خطوة الى الامام ، انه مدعو وبحكم موقفه ووجوده نفسه الى ان يرتاد الطريق أمام شعبه ، أو على الاقل أن يشير الى الخطى القادمة على هذا الطريق ، فهو ، من ثم ، يتعدى مرحلة الالتزام الى مرحلة الثورية بمعناها الشامل العريض ، لا مجرد ثورية حمل

السلاح أو المطالبة بالتغيير ، بل ثورية الاسهام في عملية التغيير التي تتم على مستوى الفرد ومستوى المجتمع في وقت معا .

ايها الاخوة والزملاء ،

اذا كانت هذه هي بعض ملامح الوضع العام الذي يجد فيه الكاتب الافريقي الاسيوي نفسه ، فان الاداب الافريقية الاسيوية تواجه بعض المشاكل الخاصة الناشئة عن هذا الوضع العام والمترتبة عليه .

ان عصر النهب والتدمير الاستعماري قد خلف لنا تركة ثقيلة كلنا نحس بوطأتها فما زالت شعوبنا تعاني من تفشي الامية معاناة مريرة . ومن الحق آن هناك جهودا ضخمة دائبة تبذل لمحو هذه الوصمة التي هي جزء من آثار الاستعمار ، ومن الحق ايضا أن هناك تقدما حثيثا نحو القضاء على الامية في معظم البلاد الافريقية الاسيوية ، ولكن ظاهرة الامية عامل لا شك فيه من عوامل تثبيط الهمة عند الكاتب الافريقي الاسيوي الذي يشعر بأن كلمته لا تصل الا الى عدد محدود ـ ربما كانوا من طبقة خاصة منطوية عن جمود ، عن أبناء الشعب . فالكاتب في مثل هذه الحال محتوم عليه أن يحس نفسه سجين وضع لا يد له فيه . بل لا يملك الا أن يحس صوته حبيس جدران ضيقة لا يتجاوزها الى الافاق الواسعة من أبناء شعبه وهذا الانعزال المفروض له اثاره المتفاقمة من الجانبين ، فالجماهير من أبناء الشعب محرومون اسهام الكاتب في اضاءة طريقها أو في اغناء حياتها ، والكاتب من الطرف الاخر معزول عن شعبه ، صلته مهددة بالانقطاع يعوزه التبادل الفعال الخلاق بينه وبين حياة الشعب الفنية التي هي المصدر الحقيقي للطاقة الابداعية .

وفي هذا السياق يحاول بعض الكتاب الافريقيين الاسويين ان يصلوا الى حلول للمشكلة باللجوء الى وسائل الاعلام السماعية كالاذاعة والتلفزيون ، ولكن المشكلة تتجدد هنا بصورة اخرى . فمن طبيعة هذه الوسائل انها مقصورة على عدد معين من الناس ، لهم اوضاع اجتماعية معينة ، وانها مرتبطة بالتقدم التكنيكي الذي لم يقطع بعد المرحلة الضرورية في كثير من البلاد الافريقية الاسيوية ، فضلا عن جانب اخر من المشكلة ، يتعلق بطبيعة ومستوى الفن الذي يمكن ان ينشر بوسائل الاذاعة والتلفزيون .

وثمة مشكلة اخرى تواجه الاداب الافريقية الاسيوية ، مشكلة حادة تتطلب الحل بل تتطلب جهدا ضخما موضولا لبلوغ مثل هذا الحل.

نريد بذلك ان الثقافات الافريقية الاسيوية بصفة عامة ، قد تعرضت لغزو عدواني ضار من جانب الاستعمار بكل اجهزته الفنية المتفوقة فنيا .. وقد عانت ثقافاتنا وادابنا من هذا الغزو العدواني معاناة مريرة حتى اوشكت في بعض الحالات ان تضيع تماما في غمار الطغيان الاستعماري . فعلينا أن ندافع عن آدابنا القومية وان نجدد دفق الحياة فيها ، علينا ان نزيدها ثروة ونعمقها حفاظا على مقومات وجودنا المتميزة ، وخصائص ثقافاتنا الاصيلة الامر الذي يؤدي حتما الى توسيع افاق الثقافة الانسانية الشاملة وامدادها بمدد غني .

وليس يسرنا ان هذا الهجوم « الثقافي » الاستعماري قد بلغ في احيان حدا حاولت معه بعض القوى الاستعمارية الغاء الاداب القومية ، ومتهانها ، بل محاولة استئصال جذورها . ومن التجارب الاليمة البارزة في هذا المضمار التجربة التي عاناها اخواننا الكتاب الجزائريون، اذ اضطرتهم ظروف القهر الاستعماري « الثقافي » ان يعبروا عن ذات انفسهم بلغة اجنبية مما دفع كاتبا مثل مالك حداد ان يقول « انني عاجز عن ان اقول بالعربية ما احسه بالفرنسية ... ان اللغة الفرنسية هي منفاي ... اننا نبين عن انفسنا ، ولكن الكلمات وهي مادتنا اليومية الخام لا ترقى الى مستوى افكارنا ، بل انها اقل كثيرا من عواطفنا » .

فاذا كان الهجوم الاستعماري الشائن قد استهدف في الجزائر لغة عريقة التراث علمت الغربيين أنفسهم ونقلت اليهم في مستهل عصر النهضة كنوز الفلسفة اليونانية القديمة واضافات الفلسفة والعلوم الاسلامية ، فقد كان هذا الانقضاض أشد ضراوة وأفدح أثرا في اللغات القومية غير المكتوبة أو التي ليس لها ركائز تاريخية وحضارية قديمة . وهذه المشكلة قد تنبه لها مؤتمرنا الثاني في القاهرة ، فاوصى بتحويل اللغات السماعية لدى بعض شعوبنا الافريقية الاسيوية الى لغات مكتوبة ، وايجاد الحروف الملائمة لها ، أو اختيار الحروف التي تناسبها من الابجديات القائمة بالفعل ، ثم ارساء قواعد هذه اللغات ، وتسجيل تاريخها وادبها .

وقد أشار الى هذا الكاتب الجزائري محمد ديب حين قال : ان ذاكرة الشعب هي مكتبته القومية ، فعلينا ان نعمل على تسجيل الفولكلور القومي والمأثورات الشعبية والادب الشفاهي المنقول وأن نحافظ عليه من الضياع أمام زحف الالات الحديثة ، وموجات المطبوعات المفرقة ، فالفولكلور ينبوع يفيض غنى بالابداع . لا يصح في هذا المجال ان نتجاوز خطرا اخر يهدد الثقافات والاداب القومية من طوفان المصادر الاستعمارية « الشبيهة بالثقافية » وهي أبعد الاشياء عن جوهر العمل الفني الحقيقي ، وطبيعته .

يتجلى هذا الخطر الخبيث في ظاهرة انتشار المطبوعات الغربية الرخيصة بما تمتلىء به من دعوة سافرة أو مضمرة الى تمجيد العنف والتفرقة العنصرية ، ودعاوى التفوق العنصري ، وتأييد العدوان والحرب والاستعمار ، وامتهان القيم الخلقية وترغيب في الجنس حتى حد الاغراق المبتذل المريض ، ويتضح ذلك على الاخص في روايات المغامرة والعنف والجريمة وصحافة التسلية والاثارة، وكتب «الدراسات» التي تتخذ مظهر الموضوعية والعلمية بينما هي تقوم على التحيز والكذب المدروس . وهذه المطبوعات تتخذ اكثر المظاهر جاذبية وتصدر عن أحدث الوسائل الفنية لتبث ثقافة مزيفة بما تحمل من افساد لروح الانسان عامة ، وللثقافات الافريقية الاسيوية خاصة ـ وفي الدعاية الخبيثة التي تبثها الافلام الكبيرة وكلها على التقريب من مصدر اميركي او غربي ، دعاية هي انكار للثقافة والقيم الانسانية الاساسية .

ويتفاقم هذا الخطر اذا تركنا العدو ينجح بالتسلل الى قلب صفوفنا ، واستعمال طابور من المثقفين يتحالفون معه وان يكن عن حسن نية احيانا وانزلاق الى التعمية والضلال . ذلك اننا نجد بعض المثقفين والكتاب من بلادنا يتردون الى هذه الهوة ويهددون ثقافتنا باضرار حقيقية فمن واجبنا آن نبين لهؤلاء بروح الاقناع ما ينطوي عليه عملهم من اذى لقضية الادب وكرامة الاقلام والمصلحة الوطنية .

وتبقى مشكلة تعني الاداب الاسيوية الافريقية بصورة حميمة تلك مشكلة النظم التعليمية التي وضعت في ظل الاستعمار ، أو فرضت وفق أهداف تنسجم واحوال رافقت أوضاعا خاصة دون ما نظر الى ثقافة البلاد وافاقها التي يجب أن تعمق وتتسع باطراد . فمتطلبات التحرر تقضي باعادة النظر جذريا في النظم التعليمية ووضع نظم ذات أصالة ثقافية تتصل اتصالا حيا ، باهداف البلاد التحريرية وتعد الشباب القادر على المساهمة في بناء مجتمع جديد .

***

ايها الاخوة والزملاء ،

يسعدنا ان نعلن هنا بيقين وتفاؤل ان الاداب في كثير من بلدان اسيا وافريقيا قد تطورت وتقدمت أشواطا في السنوات الاخيرة حتى أصبح باستطاعتنا اليوم حين نتكلم عن القضايا الادبية في هاتين القارتين أن لا نكتفي بذكر بعض الاسماء للادباء الموهوبين في هذا البلد أو ذلك بل اننا ننظر الى اداب هذه البلدان نظرتنا الى الادب العالمي بمستواه الرفيع ونضعها في صف واحد مع الاداب العريقة الراقية امثال الادب العربي والهندي والياباني والتركي واداب الاتحاد السوفياتي على تعدد لغاتها وقومياتها . ان القراء في مختلف أنحاء العالم يعرفون اليوم أسماء تشينوا أشيبيه وسيريان أكونس وبيتر ابراهامس وليوبولد سينغور وبن عثمان ومونغوبيتي وبرنارد ديه واليكي لاغوما معرفته لاساتذة الادب العربي أمثاله طه حسين وتوفيق الحكيم وميخائيل نعيمة والادباء المشهورين أمثال ناظم حكمت وفائز أحمد فائز ولا وشيه وكريشنا

تشاندر وناراين ومرزو توسون زاده وتشينغز ايتماتوف ومارتين فيكراما سنغيه الاسيويين .

فاليوم لم يعد في امكان احد اذا أغفل هذه الاسماء أن يكتب دراسة جديدة عن اداب افريقية أو اسيوية . فاعمال هؤلاء الادباء عن القصة والشعر والروايات والاعمال المسرحية والمقالات الاجتماعية مفعمة بروح المقاومة للاستعمار والعبودية ولشتى انواع التمييز العنصري والاجتماعي ، ومشبعةبالرغبة في الذود عن أصالة الثقافة القومية وتطويرها واغنائها واستيعاب أحسن ما خلقته . ومن الظاهرات الشاهدة بترقي اداب القارة الافريقية تلك المؤتمرات المتلاحقة التي عقدها الادباء الافريقيون في باريس وروما والندوات الادبية والعالمية المختلفة وبخاصة تلك التي انعقدت في داكار وفريتاون واوغندا . ومن هذه الظاهرات أيضا ازدياد عدد كتب الادباء الافريقيين المترجمة الى مختلف لغات العالم ثم الجوائز العالمية المختلفة التي منحت لكثير من الادباء الافريقيين .

ان اداب القارتين الاسيوية والافريقية تجري اليوم في سيل قوي واحد ، الامر الذي يسهل علينا الحديث المثمر عن طريق تطور الاداب ورسالة الاديب وزيادة التفاهم وتعزيز التعاون بين الادباء الاسيويين والافريقيين في المجالين الادبي والاجتماعي .

ولا ننسى في هذا المجال ما يقوم به الادب الهندي التقدمي من مساندة قضايا التحرر وما يحرزه من ازدهار ونصر بوجه ما تبذله قوى الاستعمار وعملائه لنشر ايديولوجيات تغذي روح الانقسام والتعلق « بعصر ذهبي » خيالي قد مضى . وهل من حاجة الى القول اننا مع الادب الهندي التقدمي ، هذا الادب الذي ينبثق من شعب عريق عظيم أدى للانسانية خدمات ايجابية في ماضيه ويؤدي لها خدمات ايجابية في مستقبلها تحت لواء التحرر .

وقد وقف الكتاب العرب وما يزالون يقفون في طليعة صفوف شعوبهم يدافعون عن قضايا التحرر الوطني والاستقلال التام في الوطن العربي الكبير ويقومون بدورهم في مقاومة الغزو الاستعماري والصهيوني، وادانة الجريمة التي لم يكد يسبق لها مثيل والتي تتمثل في اقامة رأس جسر استعماري دخيل في قلب الوطن العربي . وأسهم الكتابوالشعراء العرب في خلق وتنمية تيار عريض من الوعي السياسي والثقافي ، كما أبدعوا أعمالا فنية على درجة عالية من الامتياز في ميادين الرواية والشعر والقصة القصيرة والمقالة الادبية تعكس أصالة الفكر العربي في ذات الوقت الذي تواكب فيه تطور الابداع الفني في كتشافاته وتجاربه العميقة الجديدة .

ولا ننسى الادب الياباني الذي يواجه نموذجا واضحا للتغلغل الاستعماري ويهدف الى افساد الفكر الياباني والقضاء على تقاليده ذات القيمة في اغناء التراث الانساني . وجميعنا مع الادباء اليابانيين التقدميين في حفظ تراثهم العظيم وابراز جوهره الايجابي في خدمة مطامح الانسانية الى السلام والعدالة والسعادة .

وبعد فلا بد من التنويه بحقيقة مهمة وهي أن حركة الكتاب الافريقيين الاسويين ، يرجع اليها قسط من الفضل في الصدى البعيد الذي تتركه هذه الحركة في احداث مزيد من التناغم بين قضايا التحرر الافريقية الاسيوية والاداب العالمية . فمن ذلك نرى أن الادب السوفياتي المتعدد القوميات ( وكثير من ادابه الاسيوية مشاركة في حركتنا ) يتزايد اهتمام كتابه وشعرائه للقضايا الافريقية الاسيوية اهتماما مفعما بروح الحب العميق للانسان مع صلابة الارادة في العمل للقضاء على الظلم الباطل ، كما قال شولخوف في تاييده للشعب الفيتنامي « لا يمكن أن نعتبر انسانا حقا من يكتفي بالعطف على الضحية ويتناسى وجود القاتل » .

ايها الاخوة والزملاء ،

ان الافاق التي تتفتح أمام حركة مثل حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين هي افاق فسيحة العمل والابداع ، والاسهام في تنمية طاقات كتابنا على الخلق . وانه لمن الحيوي أن نحتفظ بهذه الطاقات وأن نواصل العمل على تنميتها وتجديدها ، فان ثقافتنا وحياتنا بأكملها ، لا يمكن أن تستمر وأن تزدهر الا بقدر ما نستطيع أن نجدد ثقافتنا وننميها ونواصل عملية الخلق والابداع فيها .

وفي مواجهة الاثار المدمرة « للثقافة والحضارة الاستعمارية ،علينا أن نصوغ ثقافتنا وحضارتنا القادرة على أن تجدد نفسها وأن تقوم بنيانها ، باستنادها أساسا ، الى الطاقات الخلاقة في أعماق شعوبنا ، وباستمساكها بايمان عميق يمكن أن يتمثل المنجزات الايجبية الحاضرة الغربية دون أن يرفع منها ، وأن يؤكد الايمان الانساني الجوهري بالقيم الخلقية العليا ، ويجلي الشوق الانساني الى القيم الجمالية السامية .

ايها الاخوة ،

لقد قطعت حركة الكتاب الافريقيين الاسويين شوطا طويلا منذ ان وضعت أولى لبناتها في اجتماع الكتاب الاسيويين الذي دعا الى عقده كتاب الهند في ١٩٥٧ ثم أخذت تكتسب كيانا مجسما واضح المعالم عقب مؤتمرنا الاول في طشقند في نوفمبر ١٩٥٨ . فقد أرسى هذا المؤتمر اول اسس توطيد العلاقات بين كتاب القارتين بمجموعهم للعمل على المساهمة في كفاح شعوبهم ضد الاستعمار ، وفي سبيل الاستقلال الوطني الكامل والسلام العالمي وللعمل على تنمية الاداب القومية في القارتين ، بكل ما يملكون من وسائل على تبادل الخبرات الخلاقة ، والوقوف ضد زحف « الادب » المزيف « والثقافة اللاانسانية» التي تصدر عن دعاة الاستعمار والتفرقة العنصرية والتفوق العنصري وتدعيم النضال من اجل الحرية والدفاع عنها .

وكان مؤتمرنا الثاني في القاهرة حدثا هاما في حياة حركتنا التقى فيه ممثلو أكثر من أربعين بلدا افريقيا واسيويا من طلائع الكتاب، وبعد مناقشات مثمرة ، أصدروا طائفة من الدراسات والابحاث واتخذوا طائفة من القرارات والتوصيات ، هي بين أيديكم الان منشورة في الوثائق التي أصدرها المكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسويين في القاهرة ، وهي كلها قرارات مبنية على دراسة عميقة وتفهم حقيقي لمختلف المشاكل التي تواجه كتابنا سواء في ميدان النشاط الابداعي نفسه وفيما يتعلق بالمواقف السياسية التحررية ، أو فيما يتعلق بمشاكل متخصصة : الترجمة والتبادل الثقافي في وضع الكتاب وتقوية الثقافات القومية وتنمية الشخصية الافريقية الاسيوية وتصحيح تاريخ الثقافة الافريقية الاسيوية والتعريف بحضارتها كما اتخذوا قرارات تنظيمية هامة ، واذا كانت قد ظهرت اتجاهات مثيرة للقلق في حركتنا في الفترة الماضية ، فقد استطعنا ، كما تعرفون ، أن نصحح الوضع وأن نتخذ المبادرة التي تمليها علينا مسؤوليتنا ، وأمامنا اليوم جدول أعمال حافل علينا أن نتخذ فيه الخطوات العملية الواقعية لتنفذ وتطبق ما يجتمع عليه الرأي في مؤتمرنا .

ـ فعلينا أن ننظر في قرارات مؤتمرينا السابقين في طشقند والقاهرة وأن نجد أفضل الوسائل لتحقيق هذه القرارات .

ـ وعلينا أن نرسي التشكيل التنظيمي لحركتنا وفقا للميثاق الذي سوف نقره .

ـ وعلينا أن ننفذ القرارات المتخذة من قبل :

١ ـ بعقد ندوة شعرية .

٢ ـ بتدعيم واستمرار اصدار نشرة الكتاب الافريقي الاسيويالتي صدر منها حتى الان عددان على أساس منتظم .

٣ ـ باصدار المجلة ربع السنوية ، الادب الافريقي الاسيوي ، باللغات الانجليزية والفرنسية والعربية على الاقل ، ووضع التنظيم العامي لاصدارها وتسويقها .

٤ ـ باعداد مجموعة من القصائد والقصص القصيرة عن فيتنام والجزائر وفلسطين والسويس .

ـ وعلينا أن ندعم وننظم اجتماعات المكتب الدائم بالقاهرة ، وفقا للميثاق واللائحة الداخلية للمكتب ، كيما ننهض على وجه عملي محدد، بعبء مسؤولياتنا ككتاب ، وكممثلين لشعوبنا وثقافاتها .